همزة الاستفهام وتداعيات الرؤية

مقاربة في السياق القرآني

أ. سالم علي بيدق
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة السابع من أبريل

مقدمة:

إذا كانت القاعدة العامة للنص أنه غير قابل للاستنزاف مهما تكررت المقاربات، فإن الحاجة مستمرة إلى دراسة القرآن الكريم في جميع المستويات اللسانية والفنية. وعلى الرغم من أن دراسة كتاب سماوي بمناهج بشرية أمر يكشف عن مفارقة كبرى، فإن الواجب يستدعي في الحد الأدنى اختيار المنهج الأنسب، وإجادة التطبيق، ولسنا في حاجة إلى البرهان على أن الكتابات غير المنهجية لم تعد مقبولة إلا في حدود كونها خواطر وانطباعات.

لقد أثبتت الدراسات التخصصية المتصلة بالقرآن الكريم أنها أكثر إيجابية وفائدة، ولا يعنى التخصص بتر أجزاء النص وتقطيع أوصاله؛ بل يعني التقاط الظاهرة المميزة والمعالجة ضمن بنية العلاقات التي تحفظ اللحمة، وبذلك يتجلى واضحاً أن إجراء دراسة تخصصية ناجحة يتطلب وعياً منهجياً راقياً زيادة على الخبرة المعرفية في التخصص.

copy from bulletin.7apru.edu.ly

تهدف هذه الدراسة الموجزة إلى استجلاء ما أمكن من الأبعاد الدلالية والفنية لاقتران همزة الاستفهام بمشتقات الرؤية في القرآن الكريم، وتتوزع الفقرات على حسب الصيغ المتنوعة لهمزة الاستفهام في القرآن الكريم من حيث التجريد والاقتران بأدوات أخرى.

أولاً- همزة الاستفهام المجردة:

يرى النحاة أن الهمزة أم باب الاستفهام(1) وتكون للتصور إذا كان المطلوب تعيين أحد الطرفين، وتكون للتصديق إذا كان المطلوب الإجابة بالسلب أو الإيجاب، وإذا كانت همزة الاستفهام سابقة لفعل موجب، فالجواب يكون بنعم للإيجاب، وبلا للنفي، أما إذا كانت سابقة لفعل منفي فالجواب يكون ببلى إذا أردت الإيجاب وبنعم إذا أردت النفي، وقد تحذف همزة الاستفهام إذا فهمت من الكلام.

وردت همزة الاستفهام مقترنة بأحد مشتقات الرؤية في عدة آيات، وهذا الاقتران له أبعاد إبلاغية وفنية مميزة؛ إذ يلحظ أن معارف الإنسان تبدأ من الحاسة لتتدرج إلى أمور ذهنية مجردة، وحاسة الإبصار تُعد أهم المداخل المعرفية بعد حاسة السمع، وبذلك يكون توظيف الرؤية المقترنة بالاستفهام في القرآن الكريم اختياراً دقيقاً لتحقيق أرقى درجات المعرفة، على أن القرآن الكريم لا يقف عند حد وضع الإنسان أمام المشهد لمعرفة تجلياته الحسية، بل يتدرج إلى مرتبة أعلى لتحصل الرؤية العقلية المؤدية إلى اليقين.

على الرغم من أن الهمزة حرف واحد؛ فإنّها عند الاستفهام تكون ذات مواصفات دلالية يصعب أداؤها بكلمة أو كلمات مكونة من عدة حروف، وهي عند الاقتران بمشتق من مشتقات الرؤية تقوم بوظيفة إثارة الذهن، وتركيز مجال الرؤية في مجال محدد، على أن القرآن الكريم يعرض الأشياء القريبة

copy from bulletin.7/aprilu.edu.ly

copy from bulletin.zu.edu.ly

التي يأنسها الإنسان في حياته، ويلفت النظر إلى المشاهد المألوفة في الحياة الاعتيادية.

كان أول تحدٍ واجهه القرآن منذ بدايات نزوله في مكة هو إقناع قوم وثنيين بالوحدانية والبعث، ومن الواضح أن المسافة شاسعة بين ما يعتقده القوم وما يدعو إليه القرآن، ولم يلجأ القرآن إلى جدل فلسفي معقد بل حاور القوم بأن وضع أمام أعينهم مشاهد قريبة مألوفة يجري من خلالها الانفتاح الذهني على عالم الغيب، وإثبات ما يتصل بأمور العقيدة، وهذا ما نلحظه في مثل قوله تعالى:

[أَفَرَأَيتُم ما تُمنُون∃ أَأَنتُم تَخْلُقُونَه أَم نَحن الخَالِقُون∃ نَحن قَدرنَا بينَكُم الموتَ وما نَحن بِمسبوقِين∃ علَى أَن نبدلَ أَمثَالَكُم ونُنشِئَكُم فِي ما لاَ تَعلَمون∃ ولَقَد عِلمتُم النشْأَةَ الأُولَى فَلَولاَ تَذَكرون∃ أَفَرَأَيتُم ما تَحرثُون∃ أَأَنتُم تَزرعونَه أَم نَحن الزارِعون∃ لَو نَشَاء لَجعلْنَاه حطَاماً فَظَلْتُم تَفَكهون∃ إِنا لَمغْرمون∃ بلْ نَحن محرومون∃ أَفَرَأَيتُم الماء الذِي تَشْربون∃ أَأَنتُم أَنزلْتُموه مِن المزن أَم نَحن المنزِلُون∃ لَو نَشَاء جعلْنَاه أُجاجاً فَلَولاَ تَشْكُرون∃ أَفَرَأَيتُم النار الَتِي تُورون∃ أَأَنتُم أَنشَأْتُم شَجرتَها أَم نَحن المنشِئُون∃ نَحن جعلْنَاها تَذْكِرةً ومتَاعاً للْمقْوِين][2].

واضح أن مشتق الرؤية يلازم صيغة بعينها هي الفعل الماضي، و"من المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبوت"[3]، فالأشياء الموضوعة للمشاهدة في الآيات كلها مما يتجدد بصورة يومية في حياة الإنسان، وتقع عليه العين بسهولة ويسر.

إن الأشياء المقترنة بفعل الرؤية جميعها من المعروف المألوف لدى المخاطبين وهي في الآيات المتقدمة (النسل، الحرث، الماء، النار)، وهذه الأشياء الأربعة هي سر الحياة وسبيل التحضر، ولقد حدث الانتقال من المألوف الحسي إلى المجهول الغيبي من أيسر السبل؛ فالذي يقدر على أن ينشئ الخلقة

الأولى قادر على أن ينشئها متى أراد وهذه الصفة هي صفة الله العزيز، فهو الذي خلق الإنسان من مني يمنى، فلا يمتنع عليه أن يخلق ثانياً ما تمنونه وتقذفون به في الأرحام من النطف[4]، "وإذا أقررتم بأن إخراج السنبل والحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم.

يلحظ أن الآيات المتقدمة تنعقد فيها موازنة باستخدام (أم) المعاقبة لهمزة الاستفهام، تلك الموازنة تجعل العقل في مواجهة مباشرة مع الأشياء، بحيث لا تكون له فرصة للمناورة أو المداورة، وليس أمامه إلا الاعتراف بالحق أو الكفران الصريح، وتلك واحدة من وسائل القرآن الكريم في المحاجة، التي تقوم على الموازنة ومنطق العقل، وتم تعزيز الدلالة بالمقابلة بين الضمير (أنتم) والضمير (نحن) وهذه المقابلة تجعل المتلقي يصل من أيسر السبل إلى حقيقة أن الصانع هو الله سبحانه.

في تسلسل الآيات يلحظ تقدم الآية التي فيها ذكر الزرع عن الآية التي فيها ذكر الماء، لأن الزرع ينتج عنه الطعام، والإنسان لا يحتاج إلى الشراب إلا بعد الطعام وهذه ميزة أسلوبية راسخة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: [والَّذِي هو يطْعِمنِي ويسقِين][5] وقوله تعالى: [كُلُوا واشْربوا مِن رزقِ اللهِ ولاَ تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين][6].

يرد مشتق الرؤية المقارن لهمزة الاستفهام ويكون بمعنى الإخبار، وذلك إذا كان فعل الرؤية غير عامل في مفرد كقوله تعالى: [قَالَ يا قَومِ أَرأَيتُم إِن كُنتُ علَى بينَةٍ من ربي وآتَانِي مِنْه رحمةً فَمن ينصرنِي مِن اللهِ إِن عصيتُه فَما تَزِيدونَنِي غَير تَخْسِيرٍ][7]، فالاستفهام تقرير على مضمون الجملة السادة مسد مفعولي (رأيتم) ولذلك كان معناه آيلاً إلى معنى أخبروني، ولكنه لا

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

يستعمل إلا في طلب من حاله حال من يجحد الخبر"(8)، والآية "جواب عن كلامهم فلذلك لم تعطف جملة (قال) وهو الشأن في حكاية المحاورات ... وابتداء الجواب بالنداء لقصد التنبيه إلى ما سيقوله اهتماماً بشأنه"(9).

مثلما يستخدم القرآن الكريم مدخل الرؤية لتوصيل الحقيقة إلى الذهن؛ فإنه يستخدم أيضاً مدخل السمع، وقد يجمع القرآن بين المدخلين بصورة ملفتة للنظر، ومن ذلك قوله تعالى: [قُلْ أَرَأَيتُم إن جعلَ الله عليكُم الليلَ سرمداً إلى يومِ القِيامةِ من إله غَير اللهِ يأْتِيكُم بضِياءٍ أَفَلاَ تَسمعون∃ قُلْ أَرَأَيتُم إن جعلَ الله عليكُم النهار سرمداً إلى يومِ القِيامةِ من إله غَير اللهِ يأْتِيكُم بلَيلٍ تَسكُنُون فِيهِ أَفَلاَ تُبصِرون](10)، فالثنائية الضدية التي تقوم عليها الآيتان هي (الليل- النهار)، لكن الآية الأولى لم تصرح بالطرف الثاني للثنائية الذي هو النهار، بل ذكرت لازمه الذي هو الضياء، فما قيمة الجمع بين الحاستين في سياق واحد؟.

لقد جعل الله سبحانه الليل للسكن والراحة والاستجمام، والناس يدركون أن دوام الليل فيه مضرة واضحة، ولذا اكتفى الله بذكر السمع، وعندما ذكر النهار ذكر معه البصر، لأن حاجة الإنسان إلى الإبصار فيه أكثر من حاجته للسمع، وأن ضرر دوامه لا يدرك إلا بالتأمل والتدبر، فذكر معه الإبصار الذي يتحول إلى مجاز، وتكون الرؤية قلبية. ويبدو والله أعلم أن السياق يحرص على استثارة الذهن من أكثر من مدخل، فاستخدام مدخل السمع لاستمالة القارئ وتدبر ما يسمعه، أما استخدام مشتق الإبصار فهو للتمعن في المشهد وكأنما هو حاضر أمام العين في اللحظة، ومن الواضح أن استهلال الآيتين بالعبارة (أرأيتم) يؤكد أن البنية الدلالية للسياق تركز على الرؤية، وما جاء بعدها من مشتقات السمع والبصر يتحرك في حدود هذه البنية التي تجمع في استفهامها بين التقرير والإنكار.

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

ومثلما يستدعي اقتران مشتق الرؤية بهمزة الاستفهام بنيات دلالية مميزة، فإنه يستدعي بنيات تركيبية مميزة وهو ما توضحه النماذج المختارة في المسارد الجدولية في أدناه:

المسرد الجدولي (1)

قل يا قوم أرأيتم	إن كنت على بينة من ربي	وآتاني رحمة من عنده(11)
قل ياقوم أرأيتم	إن كنت على بينة من ربي	وآتاني منه رحمة(12)
قل يا قوم أرأيتم	إن كنت على بينة من ربي	ورزقني منه رزقاً(13)

في المسرد الجدولي (1) تظهر الصيغة الحوارية المصدرة بفعل القول الموجه إلى القوم، ويجري التركيز على صدق الدعوة، والرؤية هنا تتجاوز الحاسة إلى معنى الإخبار.

المسرد الجدولي (2)

قل أرأيتم	إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة	من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون(14)
قل أرأيتم	إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة	من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون(15)
قل أرأيتم	إن كان من عند الله وكفرتم به	وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم(16)
قل أرأيتم	إن كان من عند الله ثم كفرتم به	من أضل ممن هو في شقاق بعيد(17)

في المسرد الجدولي (2) تصدر الآيات بفعل القول من دون ذكر القوم، ويوجه المخاطب إلى مشاهد كونية، بصرية مألوفة.

copy from bulletin.7apriluedu.ly

المسرد الجدولي (3)

أفرأيتم ما تمنون	أأنتم تخلقونه	أم نحن الخالقون
أفرأيتم ما تحرثون	أأنتم تزرعونه	أم نحن الزارعون
أفرأيتم تشربون	أأنتم أنزلتموه من المزن	أم نحن المنزلون
أفرأيتم النار التي تورون	أأنتم أنشأتم شجرتها	أم نحن المنشئون

في المسرد الجدولي (3) تقترن همزة الاستفهام بفعل الرؤية، وتعرض الآيات أشياء مألوفة تقوم عليها حياة الإنسان وحضارته.، ثم تجري الموازنة العقلية بالاعتماد على (أم) التي ترد كثيراً مع همزة الاستفهام المقترنة بضمير الخطاب.

قد نجد في بعض الجمل المصدرة بسياقات الاستفهام بها فواصل متساوية في الوزن تقريباً- على نظام مخالف لنظام الشعر العربي- متحدة في حرف التقفية تماماً، ذات إيقاع موسيقي متحد تبعاً لهذا وذاك، وتتألف الحروف في كلماتها، وتتناسق الكلمات في الجمل، فالأسلوب القرآني يحرص على التقيد بالنظم والفواصل إذا كان هناك إيقاع موسيقي في الآيات، فاللفظة المنتقاة تأتي لتؤدي معنى في السياق وتؤدي تناسباً في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، واتزان الإيقاع في الآيات والفواصل، وخير مثال على ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: [قَالَ أَفَرَأَيتُم ما كُنتُم تَعبدون∃ أَنتُم وآباؤُكُم الأَقْدمون∃ فَإِنهم عدو لي إِلا رب العالَمِين∃ الَذِي خَلَقَنِي فَهو يهدِين∃ والَذِي هو يطْعِمنِي ويسقِين∃ وإِذَا مرضتُ فَهو يشْفِين∃ والَذِي يمِيتُنِي ثُم يحيِين∃ والَذِي أَطْمع أَن يغْفِر لِي خَطِيئَتي يوم الدين]، فالملاحظة من خلال السياق أن ياء المتكلم قد خطفت ولم تذكر في (يهدين ويسقين ويشفين ويحيين، محافظة على حروف القافية والنسق مع (تعبدون والأقدمون والدين) ومثل هذا كثير كما في سورة

copy from bulletin.7apriluedu.ly

الفجر[والْفَجرِ∃ ولَيالٍ عشْرٍ∃ والشفْعِ والْوتْرِ∃ والليلِ إِذَا يسرِ∃ هلْ فِي ذَلِك قَسم لِذِي حِجرٍ] فحذفت ياء (يسر) لتوافق رؤوس الآيات التي سبقتها(18).

ثانياً- الصيغة المركبية (ألم):

يتكون المركب الاستفهامي (ألم) من همزة الاستفهام + لم التي هي للنفي في الأصل، ولهذا المركب عند الاقتران بمشتقات الرؤية دلالة تصويرية حسية، ودلالة تجريدية، وفي المستوى الحسي تكون المشاهد مما يرى بالعين، أو مما يتصل بحاسة الإبصار، وبالنظر إلى أن الأضواء والظلال هي عماد الرؤية البصرية فقد كثر في القرآن الكريم اقتران صيغة الاستفهام بالليل والنهار.

قال تعالى: [أَلَم يروا أَنا جعلْنَا اللَيلَ لِيسكُنُوا فِيهِ والنهار مبصِراً إِن فِي ذَلِك لآياتٍ لقَومٍ يؤْمِنُون](19)، ففي الآية ذكر الليل الذي تضعف فيه الرؤية، والنهار الذي يحصل فيه الإبصار، وفوق ذلك ورد ذكر المشتق (مبصراً) وهو متصل بالحاسة مباشرة، والنهار لا يبصر، ولكن يبصر فيه، وذلك من قبيل المجاز المرسل. ويرى ابن عاشور أن الاستفهام في الآية "مستعمل كناية عن التعجيب من حالهم لأنها لغرابتها تستلزم سؤال من يسأل عن عدم رؤيتهم فهذه علاقة أو مسوغ استعمال الاستفهام في التعجيب، وهي علاقة خفية أشار سعد الدين في المطول إلى عدم ظهورها، وتصدى السيد الشريف إلى بيانها غاية البيان"(20).

وقد يذكر الليل والنهار بعد مشتق الرؤية المقترن بهمزة الاستفهام، وتتجاوز الرؤية المعنى الحسي إلى مستوى تجريدي بمعنى العلم كقوله تعالى: [أَلَم تَر أَن الله يولِج الليلَ فِي النهارِ ويولِج النهار فِي الليلِ وسخر الشمس والْقَمر كُلٌ يجرِي إِلَى أَجلٍ مسمى وأَن الله بِما تَعملُون خَبِير](21)، فالرؤية في

copy from bulletin.7apriluu.edu.ly

الآية "علمية والاستفهام لإنكار عدم الرؤية بتنزيل العالمين منزلة غير عالمين لعدم انتفاعهم بعلمهم"(22).

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: [أَلَم تَروا أَن الله سخر لَكُم ما فِي السمواتِ وما فِي الأَرضِ وأَسبغَ علَيكُم نِعمه ظَاهِرةً وباطِنَةً ومِن الناسِ من يجادِلُ فِي اللهِ بِغَيرِ عِلْمٍ ولاَ هدى ولاَ كِتَابٍ منِيرٍ](22)، وقد فسر القرطبي الآية بقوله: "ذكر نعمه على ابن آدم، وأنّه سخر لهم (ما في السموات) من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجر إليهم منافعهم (وما في الأرض) عام في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى (وأسبغ عليكم نعمه) أي أكملها وأتمها"(24)، وفي الآية ذكرت مظاهر سماوية وأخرى أرضية يمكن إبصارها، ثم ذكرت النعم التي هي محل تدبر، سواء أكانت ظاهرة للبصر كالأشياء التي تؤكل وتشرب وتلبس، أو باطنة وتفهم بالبصيرة كالصحة وما أمد الله به الإنسان من مناعة.

إن المشاهد التي ترد مع صيغة ألم تكون عادة مما يمكن إبصاره بالعين أو تصوره بالذهن مهما تهددت الأشياء وتداخلت، وكما هو الشأن مع الهمزة المجردة يركز القرآن بوضوح على المشاهد المألوفة، وذلك كقوله تعالى: [أَلَم تَر أَن الله أَنزلَ مِن السماءِ ماء فَسلَكَه ينَابِيع فِي الأَرضِ ثُم يخْرِج بِهِ زرعاً مخْتَلِفاً أَلْوانُه ثُم يهيج فَتَراه مصفَرا ثُم يجعلُه حطَاماً إِن فِي ذَلِك لَذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ](25)، وعلى الرغم من أن الإنسان لا يرى حركة الماء في باطن الأرض كرؤيته الزرع فإن الصورة سهلة الاستحضار في الذهن.

يستثمر القرآن الكريم زيادة على الأضواء والظلال التي هي أساس الإبصار تعدد الألوان وتدرجاتها ليلفت الذهن إلى دلالات دقيقة من خلال مدخل الرؤية، ومن ذلك قوله تعالى: [أَلَم تَر أَن الله أَنزلَ مِن السماءِ ماء فَأَخْرجنَا بِهِ ثَمراتٍ مخْتَلِفاً أَلْوانُها ومِن الجِبالِ جدد بِيض وحمر مخْتَلِفٌ أَلْوانُها وغَرابِيب

copy from bulletin.zu.edu.ly

سود](26)، وقوله تعالى{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء} "هذه الرؤية رؤية القلب والعلم؛ أي ألم ينته علمك ورأيت بقلبك أن الله أنزل فـ(أن) وأسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الرؤية (فأخرجنا به ثمرات) هو من باب تلوين الخطاب"(27).

إن المستويين الحسي والتجريدي للرؤية المقترنة بصيغة ألم يتعانقان ويتداخلان بصورة يصعب فصلها أو تفكيكها، فهما بمثابة بعدين يمكن إدراكهما في صورة ثنائية الأبعاد، ومن الواضح أن الآيات في بعدها الحسي القريب تسمح للإنسان بأن يكون فاعلاً ومدركاً ومختاراً، وهو مطالب بالوصول إلى الخلاصة من خلال ترقية ما يراه بعينه إلى ما يستخلصه بقلبه، أما في البعد التجريدي البعيد، فإن الإنسان يتلقى خلاصة جاهزة، لا يمكنه أن يعترض عليها، بل عليه أن يتلقاها بالرضا والقبول، لأنها إعجاز رباني يتحدى بذاته.

من الاستخدامات المميزة للصيغة (ألم) في القرآن الكريم ضرب المثل كقوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضرب الله مَثَلاً كَلِمةً طَيبةً كَشَجَرةٍ طَيبةٍ أَصلُها ثَابِتٌ وفَرعها فِي السماءِ∃ تُؤْتِي أُكُلَها كُل حِينٍ بِإِذْنِ ربها ويضرب الله الأَمثَالَ لِلناسِ لَعلهم يتَذَكرون](28)، ففي الآية تمثيل لأعمال المؤمنين وأعمال الكفار، فالكلمة التي هي بؤرة التمثيل في الآية كيان معنوي، وليست كياناً مادياً، وكل ما يتصل بالكلمة يسير في الاتجاه نفسه، فالصفات (طيبة) و(خبيثة) هي صفات ذات بعد معنوي، لأنه كان من لوازم الصورة ذكر ما يتصل بالشجرة من تفاصيل (الفرع، الأصل، الأكل) مما يبدو متصلاً بالحس وهو في حقيقة الصورة يتبع كليته المعنوية التي هي الشجرة، وإنه من المستحيل تشكيل صورة يستجيب لها الإدراك البشري من دون أن يكون لها تداعيات حسية، لكن الأهمية في تحليل الصورة لا تحسب بالموارد الجزئية، وإنما تحسب باتجاهها الكلي.

copy from bulletin.7apriluniv.edu.ly

وقد يرد المركب المخصوص (ألم) مع الفعل تر للتنبيه على شيء، والتنبيه من أقسام الأمركما في قوله تعالى في سورة الفرقان: [أَلَم تَرَ إِلَى ربك كَيفَ مد الظل](29) ، أي انظر، وقوله تعالى في سورة الحج:{ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة(30).

هناك بعض المشاهد التي ترد في القرآن الكريم، وهي مما يسرد حقائق تاريخية حاضرة كقوله تعالى: [أَلَم تَرَ إِلَى الَذِين بدلُوا نِعمتَ اللهِ كُفْراً وأَحلوا قَومهم دار البوار∃ جهنم يصلَونَها وبِئْس القَرار](31)، "أي جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، حين بعثه الله منهم وفيهم فكفروا، والمراد مشركو قريش وإن الآية نزلت فيهم"(32)، فالآية بالنسبة لمن كان في زمنها خاضعة للرؤية بالبصر، أما بعد مضي زمنها بعد عصر الرسالة وفي ظل عموم الخطاب القرآني فإنها قابلة فقط للاستحضار في الذهن، فالصورة إذن في الآية صورة حسية في زمن البعثة، وهي تجريدية بعد زمن البعثة، وفي الحالتين لا تخرج دلالتها على توجيه المخاطبين إلى التدبر والتأمل باستثمار مدخل الرؤية.

بتأمل السياقات التي يقترن فيها المركب الاستفهامي ألم بفعل الرؤية نلحظ تداعيات تركيبية وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحد صيغها أو تتقارب من مثل قوله تعالى: [أَلَم تَعلَم أَن الله لَه ملْك السمواتِ والأَرضِ](33)، وقوله تعالى: [أَلَم تَعلَم أَن الله علَى كُل شَيءٍ قَدِير](34)، وهذه التكرارات المذيلة بالصيغة الاستفهامية ألم ليست لمجرد التكرار، وإنما هي فوق دلالاتها المناسبة للسياقات التي ترد فيها تعمل للربط بين السياقات المتعددة، ويذكر كل تكرار بالسياق الآخر.

تتداعى التراكيب بعد المركب الاستفهامي (ألم) عند الاقتران بمشتقات الرؤية في مسارات تركيبية مميزة، وأكثرها طريقتان:

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

الأولى: ورود الاستفهام، وبعده فعل الرؤية بالصيغة (استفهام + فعل الرؤية + حقيقة كونية أو حياتية) وذلك مثل قوله تعالى: [ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء](35)، وقوله تعالى: [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير](36)، وقوله تعالى: [ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون](37)، وقوله تعالى: [ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم](38).

الثانية: ورود الاستفهام وبعده فعل الرؤية بالصيغة: (استفهام + فعل الرؤية + إلى + اسم موصول + فعل)، وذلك كقوله تعالى: [ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون](39)، وقوله تعالى: [ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون](40)، وقوله تعالى: [ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون](41)، وقوله تعالى: [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون](42).

وفيما يأتي مسرد جدولي يوضح شيئاً من التداعيات التركيبية والدلالية للصيغة الاستفهامية (ألم):

copy from bulletin.apriltu.edu.ly

مسرد جدولي (4)

يوضح تداعيات الصيغة الاستفهامية (ألم) مقترنة بفعل الرؤية

ألم تر	أن الله أنزل	من	السماء ماء فأخرجنا به ثمرات(43)
ألم تر	أن الله أنزل	من	السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض(44)
ألم تر	أن الله أنزل	من	السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة(45)
ألم تر	أن الله يسجد له	من في	السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب(46)
ألم تر	أن الله يسبح له	من في	السماوات والأرض والطير صافات(47)
ألم تر	أن الله سخر لكم	ما في وما في	السماوات الأرض(48)

من الجدول يتضح أن هناك تركيباً أساسياً يتكرر في البداية وهو(ألم تر أن الله) ويأتي بعده فعل إما بصيغة الماضي وإما بصيغة المضارع، ومن ثم يأتي ذكر السماء أو الأرض بلفظهما، وجملة من المظاهر المتصلة بواحدة منهما.

ثالثاً- الصيغة المركبية (أفلا):

تتكون الصيغة الاستفهامية (أفلا) من همزة الاستفهام، والفاء التي هي أصلاً للعطف، ولا التي هي أصلاً للنفي، والدلالة المحورية للسياقات التي تدخل فيها الصيغة الاستفهامية (أفلا) تتصل بصورة جلية بإثبات الألوهية لله من طريق البرهان والحجة، وإقامة الموازنات المناسبة التي تجعل العقل يرى الحق من الباطل بوضوح فلا يكون أمامه إلا أن يقبل الحق فيتبعه أو يستكبر وهو عارف أنه الحق، ويقف العقل أمام مسؤولياته مباشرة، وقصاراه أن تداعيات الصيغة الاستفهامية أفلا هي تداعيات تجريدية عقلية، وإن كان المدخل هو النظر أو الإبصار.

copy from bulletin.7apru.edu.ly

تتميز الصيغة (أفلا) من الصيغ المركبية الأخرى للهمزة بأنها لا تقترن بلفظ الرؤية، وإنما تقترن بمشتقات أخرى في معنى الرؤية تأتي في مقدمتها مشتقات الإبصار ومشتقات النظر كقوله تعالى: [وفِي أَنفُسِكُم أَفَلاَ تُبصِرون](49) ، وقوله تعالى: [أَفَلاَ ينظُرون إِلَى الإِبِل كَيفَ خُلِقَتْ](50) ، وقوله تعالى.

تتميز الصيغة الاستفهامية (أفلا) بورودها في الأكثر على هيئة تذييل للآية أو الآيات قبلها، ومن المعروف أن التذييل نوعان؛ نوع يجري مجرى المثل، ونوع لا يجري مجرى المثل، إذ تتميز التذييلات التي تجري مجرى المثل بقدرتها على الاستقلال عن السياق الذي تعود عليه، في حين ترتبط التذييلات التي لا تجري مجرى المثل تركيبياً بما قبلها، وارتباط الصيغة أفلا بالتذييل يمنحها بعداً بنائياً لا تحصل الصورة إلا به، ولا تفهم الدلالة إلا بوجوده.

الخاتمة:

إن ورود فعل الرؤية يعمل بمثابة تجسيد الحدث، فيصبح المتلقي كأنه يرى الحدث بعينه، إذ يلحظ أن عدداً من الأحداث التي تسوقها الآيات هي أحداث ماضية، ولا قدرة للإنسان على مشاهدتها لأنها مضت وانقضت، وهناك مسائل غيبية مستقبلية يستحيل على الإنسان أن يراها في الوقت الحاضر بالحاسة -الرؤية- فتكون ميزة فعل الرؤية هي حث الإدراك على الاستحضار وتجسيد الحدث ، فيكون في سياق النص كالمرئي تماماً، وبذلك يكون الأثر أعمق وأكبر مما لو جاء في سياق السرد الاعتيادي على سبيل القص المعتاد في نقل الأحداث الماضية، كأن يقال حدث كذا...، وجرى كذا....

لقد كان هذا البحث الموجز محاولة لإبراز خصائص لسانية وفنية في مجال محدد من مجالات البحث، والموضوع أكبر من الإلمام به في دراسة

copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

موجزة، لذلك اقترح على الباحثين أن ينطلقوا في هذا الميدان، وسيكون لهم نصيب مما فات هذه الدراسة الموجزة.

الهوامش:

1) ينظر، سيبويه، الكتاب 99/1.
2) سورة الواقعة. الآيات 61- 79.
3) التعبير القرآني ص 24. د. فاضل صالح السامرائي. دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، العراق،1986م، 1987م.
4) ينظر: الزمخشري الكشاف. 56/4.
5) الشعراء الآية79.
6) البقرة، الآية 60.
7) هود، الآية 63.
8) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر والتوزيع،12/ 51،50.
9) ابن عاشور، التحرير والتنوير،12/ 111، 112.
10) القصص، الآيتان 71. 72.
11) سورة .يونس الآية 28.
12) سورة .يونس الآية 63.
13) سورة يونس الآية 88.
14) سورة يونس الآية 72.
15) سورة .يونس، الآية 71.
16) سورة يونس الآية 10.
17) سورة .يونس الآية 52.
18) ينظر، محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، ط2، 2003، ص99.
19) النحل، الآية 86.
20) ابن عاشور،التحرير والتنوير،43/20.
21) لقمان، الآية 29.
22) ابن عاشور، التحرير والتنوير،185/21.
23) لقمان، الآية20.

copy from bulletin.7april.edu.ly

24) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،م7ج68/2.
25) الزمر، الآية21.
26) فاطر، الآية27.0
27) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،م7ج306/2.، وإلى هذا يميل الزمخشري، ينظر الكشاف307/3.
28) إبراهيم، الآيتان24 ،25.
29) سورة الفرقان، الآية 45.
30) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،مكتبة مصر،دت، دت، ص412.
31) إبراهيم، الآيتان،28-29.
32) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،م5ج319/1.
33) تكررت الآية بالصيغة نفسها في سورة البقرة الآية 107،وفي سورة المائدة الآية 40
34) سورة البقرة الآية 106.
35) سورة الحج، الآية 18.
36) سورة الحج، الآية63.
37) سورة النور الآية 65.
38) سورة الحج، الآية 65 .
39) سورة المجادلة، الآية14.
40) سورة الحشر، الآية 11.
41) سورة البقرة، الآية 243.
42) سورة آل عمران، الآية 23.
43) سورة فا طر الآية 27.
44) سورة الزمر الآية 21.
45) سورة الحج الآية 63.
46) سورة الحج الآية 18.
47) سورة النور الآية 44.
48) سورة الحج الآية 65.
49) سورة الذاريات ، الآية 21.
50) سورة الغاشية،الآية 17.

copy from bulletin.7april.edu.ly